

الكتاب الخامس

الطيار في الجنة



الحريّة لا تمنح ولكنّها تُؤخذ بأعزّ التضحيات

أحمد عصمت

الباب الأول

العام الجديد



أيها الفتيان :

سواء منكم الكادحون في حقول الوادي وصحرائه ، أو المنصرفون إلى التحصيل في جامعاته ، أو العمل في مصافعه ، أو المتعبدون في صوامعه أو جوامعه ، أو المخلقون في سماء مصر الصافية أو في الخارج ، على متون طائرات مصرية ، من صنع بلادكم ، أو الضاربون في عرض البحر في سفن مصر الحاملة تجارتها ومصنوعاتها إلى أمم العالم ، وسواء الناظرون منكم إلى سماء مصر الصافية التي تربط البصر والفكر بصفاء الله ، أو الجالسون إلى مدافئ الشتاء عندما يتهور الليل أو يتنفس الصباح : اقرأوا الكلمات التالية منعمين النظر ، مسترسلين في التأمل ، في خشوع وتهجد ...

فإذا ترقرت الدموع في مآقيكم ، أو انهلت على خدودكم ، فحذار أن تكون دموع الجزع لمن خلدتهم مصر من الأبطال والشهداء ، شهداء دينكم ، دين هذا الوطن الذي عبدتم فيه معنى من معاني باراتكم وحاميكم . بل لتكن دموع المتعبدين لله وللوطن .

ففيما يلي ذكريات شهادة ، وفناء في الله وعبادة .

وبافتيات مصر :

أقرآن هذه الأسطر قراءة كل ما هو سماوى ربانى ، وأقرئها أبناءكن
وأحفادكن ، عابدات قانتات :

لقد سلت سيوف الإمبراطورية البريطانية التي تتحكم فى القارات
الخمسة على شباب أمتكم فى منطقة القناة . وكانت أمم الأرض تبصر
بريقها كلما طيرت الأمواج أنباء استشهادهم فى جوف الليل أو
بكور النهار .

وفى حين كانت مصر تخب فى هذه الحرب الظالمة وتضع ، ويلقى أشبالها
الحتوف من نصال السيوف ، هزت الحضارة المعاصرة لنا أكتافها ،
والجريمة الكبرى ترتكب على أعينها ، فى الأبرياء وفى الشهداء ، وفى
الحضارة الإنسانية جميعها .

لن نعيد على أسماعكم ذكريات نقشت فى شغاف كل قلب ، وجرت فى
كل دم ، وستنحدر إلى أبناءكم وأحفادكم مع الدم الذى يجرى فى أصلابهم ،
ولكننا نقص عليكم بعض القصص ، عن بعض أيام ، أتروا الأشياء كما
رأيناها وكما عاش فيها شهداؤنا يوما بعد يوم ، ولتنقلوا إلى الأجيال
المقبلة عظات تلكم الأيام وروح عظائنها .

اذكروا دائماً فى معارض الشجاعة ، أن التقاليد الحقيقية الأفعال
النابهة - على ما يقول بول فالبرى - ليست فى أن نعيد ما صنعه الآخرون
بالذات ، وإنما هى فى إحياء الروح الذى صنع هذه العظامم والذى
سيصنع أمثالها فى الأزمان التالية .

ولقد تكون المثل العليا من الفعال الباهرة ، كالأنجم الزاهرة ، لا
ترقى إليها المعارج ، لكن فيما لدى البأس ، وعند السرى ، دليلاً مرشداً .

والآمم كالرجال لا تهرم ولا تهزم ، ولا تضل في المفازات ، إلا إذا فقدت نجومها الهادية من مثلها العالية . وإذا كانت العبقریات لا تقلد فهي دروس تدرس ، في أمثال تضرب ، ليهتدى بهداها .

أمامكم في مستقبل الوادی صفحات بيض لم تسطر بعد . فاكتبوها في ضوء ما علمكم أبطالكم .

اكتبوها في الدفاع عن الوطن تكونوا قرة الأعين الساهرة عليكم من الشهداء كالأنجم الثاقبة تراقبكم من السماء .

اكتبوها في معارك الحروب

اكتبوها بكل إقدام في ميادين الحضارة كالصناعة والتجارة والزراعة والطب والعلم والمال وكثير سواها .

اكتبوا في الطب سطوراً جديدة من تضحيات الأفراد في سبيل الجماعة . وشعبنا مريض يترقب من يطب له ويداوى أدواءه .

اكتبوا في العلم ، الاختراعات الحديثة والأبواب الجديدة من تضحية الجسم في سبيل الروح ، وتضحية النفس الواحدة في سبيل الملايين ... وليس كالتقذوة حافز ينفذ من القلب إلى القلب ويحبب العلم بالعمل والعمل بالعلم .

اكتبوا في الاجتماع والاقتصاد، صفحات من الشجاعة وإنكار الذات، والعزوف عن الملذات، وروح الفريق في العمل ، فيد الله مع الجماعة .

اكتبوا بل اعملوا . في أضواء مثلنا العليا التي تغمر الأرجاء بالضياء ، وعندما تصنعون مخلصين ستكون يد الله فوق أيديكم .

والكلمة الأخيرة لم يقلها أحد بعد . فصرقنظر .

لاتوا ولا تقنطوا مخافة أن تفشلوا وتذهب ربحكم ، فمن معارج

الحضارة معارك الطلائع . سواء منها معارك الانتصار أو ما يشبه إلى البعض أنه بوادر هزيمة أو هزات قلق .

وعندما تدعو السماء الثرى إلى التقدم ؛ تهتز الأرض وتربى ، كمثل الدفء في الشتاء والحياة في الشجر ، تسير الدنيا بهما إلى الربيع في مواكب صاحبة ، من المحاولات المتعاقبة ، في أسابيع الزوابع ؛ وكمثل ذلك جسر الحضارة تجري عليه سحنة التقدم بالوثبات الموفقة ، أو الكبوات المتعالية ، أو السقطات المتتالية ... إلى الأمام .

وحياة الأمم كحياة الأفراد ، وكل شئ ، تؤخذ بجمعها لا بجزء منها ولا بجزء . والأمم لا تنصر بالحيلة ولا بالانتهاز ولا باختراعات الساسة . ولكنها تنصر يوم توهب لها إرادة الانتصار ، فتكافح الكفاح المرير الشاق . فإما بلغت غرضها ، وإما كان الكفاح في ذاته نصراً لها .

رددوا أيها الفتيان والفتيات ذكريات القتال . فقد أصبح لكم - هنالك - في مكان الاستعمار ، مقابل من آيات الفخار ؛ واذكروا في نفس المقام نفس الكلام الذي وجهه إبراهيم لنكولان ، إلى رفاقه على أرض معركة « جتسبرج » ، حيث مقابر الجند الذين قضوا على نظام الرقيق وزمان الاستعباد . فكأنما هذه الكلمات لنا . أو قيلت ها هنا :

« من سبع وثمانين سنة أنشأ آباؤنا في هذه القارة أمة جديدة قامت على الحرية وكرست حياتها المبدأ القائل إن الناس جميعاً خلقوا متساوين . »
« ونحن الآن مشتبكون في حرب أهلية كبرى تمتحن هذه الأمة ، ليظهر ما إذا كان في وسعها أو وسع أي أمة أخرى قامت على هذا الأساس وكرست نفسها له ، أن تعيش طويلاً ،

« وما نحن أولاء قد اجتمعنا في ميدان عظيم من ميادين هذه الحرب .

وجئنا لنكرس جزءاً من هذا الميدان ليسكون المثنوى الأخير لأولئك الذين ضحوا بأرواحهم لكي تحيا الأمة . وإنه لمن اللياقة والسداد أن نفعل ذلك ،

« على أنه من وجه أعم لا يمكننا أن نكرم هذه الأرض أو نصفي عليها قدسية أخرى فإن الرجال الشجعان - الأحياء منهم والأموات - الذين قاتلوا هنا قدسوها تقديساً أعظم من أن نزيد عليه أو ننقص منه بقوتنا الصغيرة . »

« سوف لا يأبه العالم كثيراً أو يذكر طويلاً ما نقوله هنا . ولكنه لن ينسى ما فعله هؤلاء الرجال هنا . ولذلك يجدر بنا نحن الأحياء ، أن نكرس أنفسنا للعمل النبيل الذي ساهم في سبيل تقدمه أولئك الذين حاربوا هنا . نعم يجدر بنا أن نكرس حياتنا للقيام بالواجب العظيم الذي لا يزال أمامنا . فنستمد من هؤلاء الأموات المكرمين إخلاصاً متزايداً للبدا الذي بذلوا في سبيله أكثر ما يمكن من إخلاص . ونعقد العزم هنا على ألا تذهب أرواح هؤلاء الأموات سدى ، وعلى أن الحرية بفضل الله ستبعث في هذه الأمة بعثاً جديداً . وألا تمحي من الأرض الحكومة التي يقوم بها الشعب في سبيل الشعب . »

• • •

كانت صلوات الشكر لله العلي القدير تتصاعد من قلوب البشر في ذكرى ميلاد السيد المسيح ، وفي ليلة العام الجديد من سنة ١٩٥٢ ، ذاكرة بالخشوع والخضوع إله المرحمة ... في حين كانت دماء مصر تسيل أنهاراً فوق ثراها . ان نشق عليكم بالتفصيل الطويل ... فإليك صورة مصغرة لما قاسته مصر في بضعة أيام ومائة من تاريخها ، حاربتها فيها إنجلترا بشتى أسلحة العصر ، فلم تكسب إنجلترا ولم تخسر مصر .

بلى . خسرت إنجلترا خسار من إذا واثق غدر ... من ينش الذساء
وبقتلهم ، وبقتل الأطفال ، وبقتل جنود البوليس ، وبقتل الراهبات ،
وبشد بالسيف على تلاميذ الجامعات ، وبصنع المثلات بالأسرى .
وكسبت مصر ثقتها في قواها يوم ثبت النفر الذين ثبتوا ، فلا تهزم
الأمم ولا الأفراد إذا لم تسلم نفسها بالانكسار ، فإذا سلمت نفسها
فقدت روحها فوق فقدان معاركها : -

أول يناير = القائد العام الإنجليزي في منطقة القنال يعلن تصميم
بريطانيا على تنفيذ حلف الدفاع عن الشرق الأوسط وعزمها على الاحتفاظ
بمركز قيادتها في القنال إلى أن تشارك مصر في هذا الحلف .

في أخبار ذلك اليوم أن الفدائيين حاولوا اغتيال البريجادير د اكسهام
في منطقة الاسماعيلية بإلقاء ثلاثة قنابل يدوية على سيارته .

وكان الخبر آية تدرس الفدائيين بتحسب الأخبار ، إذ استطاعوا أن
يتخذوا من أنفسهم رصداً لحركات قواد العدو .

ولو قد أصيب د اكسهام ، لكان أول د بريجادير ، لإنجليزى لقي
الموت على أيدي بنى الوطن ، لكن هذا سبق لم يكتب يومذاك لأحد ...
وإنما أجلته السماء ليوم موعود .

وفي اليوم نفسه ، نشرت الصحف صوراً لجنازة د عادل محمد غانم ،
الطالب بكلية الطب بمحـولا على أعناق زملائه بعد أن عاد شهيداً من
مبادئ القناة .

سيتمسك البعض كيف كانت تقع هذه الأنباء في فاتحة العام على الشعب
الإنجليزى ، لو نظر إلى شبابنا وطلابنا ، وهم يهبون أرواحهم لأشرف
قضية ، قضية الحرية ، نظرته إلى شبابه وطلابه ... ا

أما نحن فقد كنا ندرك كيف تقع الأنبياء مواقفها لدى الشعب الإنجليزي الذي حارب الرق والاستعباد إذا وقعا على رجل واحد... وما زال يحارب لحساب الرق والاستعباد إذا وقعا على شعب كامل...

٢ من يناير = نصف الخط الحديدي البريطاني - قنابل مولوتوف - قتل عشرة جنود إنجليز وإصابة كثيرين .

٣ من يناير = التوسع في التدريب العسكري - إنشاء مدارس وساحات للتدريب . وإعلان الحكومة والوزير المختص بشئون كنائس التحرير أن لا تدريب للفتيات على الحرب بل سيكون تدريبهن على العناية بالجرحى والمرضى .

تدمير مستودعات البترول بمسكرات جنيفه والتل الكبير - ندب الأمم المتحدة « مستر رار » المحقق الدولي للتحقيق في إجبار الإنجليز للعمل على العمل برغمهم .

٤ من يناير = معركة دامية بين الإنجليز والبوليس المصري والأهليين في السويس تستمر خمس ساعات ؛ ٢٠ قتيلًا و ٤٠ جريحًا من البريطانيين . إصابة ١٨ من البوليس والأهليين بجراح .

نصف محطة المياه البريطانية في معسكرات الإشارات وإحراق دبابتين ومصفحتين وقتل جنودهما .

احتجاج السفارة البريطانية على السلطات المصرية لإبلاغها تاجراً إنجليزياً بمغادرة البلاد لتعاونه مع الإنجليز بالقناة .

٥ من يناير = الإنجليز يحاصرون السويس ويعتدون عليها بقوات ضخمة تدعمها عشرون دبابة ؛ ٢٥ قتيلًا و ٥٥ جريحاً من البريطانيين ، استشهاد خمسة من المصريين و ٤٤ جريحاً - وابل من رصاص

الإنجليز ينهمر على المستشفى الأميرى وعلى سيارات الإسعاف وناقلة المرضى .

٦ من يناير = الإنجليز يعزلون منطقة القنال عن الأراضى المصرية قطع المواصلات الحديدية عنها . منع دخول الصحف إليها . نسف نادى الضباط وحرق سيارتين بريطانيتين وقتل ستة من جنودهما . الإنجليز يحرقون خمسة منازل ، مصرع ثمانية من ضباطهم .

٧ من يناير = مصرع ثمانية عشر بريطانيا من سلاح الطيران فى كمين أعده الفدائيون ، الإنجليز يحتلون للبقية الباقية من منطقة كفر أحمد عبده ويحلون سكانها عنها بالقوة .

هكذا كانت خطة الجيوش البواسل فى الأسبوع الأول من افتتاح العام الجديد ، خطة التنقيب والتخريب . واقتطاع منطقة السويس من أرض مصر . واحتلال منطقة كفر أحمد عبده بتمامها وإجلاء ساكنيها كافة .

فأى امتحان امتحنته قلوب المصريين فى ذلك الزمان ! يشهدون على أعينهم ويحسون فى أبدانهم اقتطاع الثرى المصرى كما تبتز الأعضاء من الجسم الحى !

٨ من يناير = صورة فيلق من الفدائيين هبوا يبتدرون القتال فى بيداء السويس ومعهم بنادقهم وقنابلهم اليدوية .

الرئيس السابق مصطفى النحاس يزور بطريق الأقباط لنوطيد الأخوة بين عنصرى الأمة التى يكيد لها الإنجليز .

معركة بين الإنجليز وبين جندهم ، الموريشان ، تسفر عن قتل وجرح مائة بريطانى .

وزارة الخارجية الأمريكية توفد مبعوثين إلى السودان لزيارة الأقاليم والوقوف على الاتجاهات السياسية للشعب السوداني .

٩ من يناير = نسف معسكر الأغذية بالسويس والمحطة الاسلكية بالاسماعيلية - تدمير الخط الحديدي البريطاني ومهاجمة سيارة وقتل ٦ من جنودها ؛ الإنجليز ينسفون كوبرى المعاهدة انتقاماً من المصريين ويعتدون على جمر الكوبرى - القائد أرسكين ، يردد قول القائد العام إن الإنجليز باقون في القنال .

١٠ من يناير = مقترحات الملك ابن السعود لحل النزاع المصرى البريطانى - مهاجمة قافلة من ٢٠ سيارة بريطانية وقتل ١٩ وجرح ١٦ من ضباطها وجنودها ، ١٠٠٠ جندي و ١٠٠ دبابة يشتركون في الحملة الإرهابية - هدم ٦٠ منزلاً في منطقة جنيقة - فقيد الوطن الطالب عباس سليمان الأسير ، بكلية التجارة .

١١ من يناير = الإنجليز يطلقون مدافعهم على دار محافظة الاسماعيلية وعلى استراحة شركة القنال في أثناء وجود مديرها ورئيس مجلس إدارتها .

١٢ من يناير = عرض مقترحات جديدة على مصر خلال عشرة أيام - أمريكا موقنة أن مصر لن تغير موقفها من الدفاع عن الشرق قبل الجلاء - ٤٠٠ جندي بريطاني تهاجم قرية أبي صوير ، الفدائيون ينسفون الخط الحديدي عند الأدبية المرة الحادية عشرة .

١٣ من يناير = معركة عنيفة في التل الكبير بين الإنجليز والوطنيين ورجال البوليس - قتل ٢٠ ضابطاً وجندياً بريطانيا وجرح ١٢٠ - استشهاد ٦ من الفدائيين وإصابة ١٤ بجراح ؛ الفدائيون ينسفون خطاً حديدياً ويهاجمون قطاراً حريباً ويقتلون ٣ من حراسه ويجرحون ٤ منهم .

١٥٠ جنديا يحاولون احتلال التل الكبير - ١٠٠٠ جندي مهاجمون القرى بطريق أبي صوير - إصابة المستشفى العسكري - تصدى الأهالي للقوات البريطانية - واشتداد المعركة وعبور البريطانيين ترعة الاسماعيلية على عائمات وإحراق قريتي الخادة والمزارعة - سيارات الصليب الأحمر توالى نقل القتلى إلى أن أمر الجنرال د أرسكين ، بوقف القتال - صورة لجنادة صامته لشهيد الوطن بجامعة فاروق بالأسكندرية د عباس سليمان الأعمر ، يتقدمها مدير الجامعة ووكيلها والعمداء والعلماء - رسالة مدير مكتب إحدى الصحف من لندن وفيها ما يلي : -

د نفت الدوائر الرسمية البريطانية رفض اقتراح غير رسمي كانت الحكومة المصرية قد عرضته يقضى بجلاء القوات البريطانية عن قنال السويس إلى قطاع غزة . وتوقع الدوائر البريطانية المطلعة أن تقبل الحكومة أى مشروع معقول للجلاء عن منطقة قنال السويس ، بشرط أن يتم الاتفاق على صيانة المنشآت العسكرية في قاعدة القناة ،

الاثنين ١٤ من يناير = الإنجليز يعدمون ٧ من أسرى معركة التل الكبير رمياً بالرصاص - تجدد المعارك بين القوات البريطانية والأهالي ورجال البوليس في التل الكبير . سقوط ٤ قتلى من الإنجليز وإصابة ٥٤ بجراح واستشهاد ٤ من الفدائيين وإصابة كثيرين بجراح .
صور نصف الخط الحديدي .

إعلان من الإخوان المسلمين عن استشهاد شهيدى الوطن المجاهدين الطالب د أحمد المنيسى ، بكلية الطب والطالب د عمر شاهين ، بكلية الآداب الاحتفال بتشييع الجنازة في الزقازيق وفي مصر .

إعلان عن تشييع الجنازة من الإخوان المسلمين بمنطقة أبي حماد .
وهكذا انصرمت أيام الأسبوع الثانى من يناير باتجاهات أخرى في السياسة والحرب .

أما في السياسة فقد راحت وزارة الخارجية الأمريكية تحقق لحسابها وتستغفه الأمر في السودان ، وتقدمت دولة عربية شقيقة تسفر بين الأفريقين ، وفي نفس الوقت أذيع في لندن ما يشير إلى أنهم يقبلون أى مشروع معقول للاتفاق بشرط صيانة المنشآت في القنال .

وأما في الحرب فقد فقد الجيش البريطاني أعصابه وآدابه ، وأخذت فيالقه تتحرك بتشكيلاتها العسكرية ودباباتها وعائمتها ، تهدم المنازل وتحتل المناطق ، يبلغ عددها الألف جندي والمائة دبابة بل وتطلق الرصاص على مقر الحكومة المصرية في الاسماعيلية . وتعدم الأسرى . وانتقل ميدان المعارك إلى منطقة التل الكبير وأبي حماد وأعلن عن استشهاد شباب الجامعات في التل الكبير وأبي حماد . انتقل مركز الثقل إلى هناك . واتجه اليه قلب مصر وأسماع أمم الأرض ، تتسمع خفقانه من محطة الإذاعة خمس مرات ، وجه النهار وزلفا من الليل ، كما تستمع اليه كلما أذاعت أخبارها مرات ومرات سائر المحطات في العالم .

وفي حين كانت جنازة شهداء الجامعة تسير في طرق القاهرة . وكانت مصر تتأثر لشهادتها الذين يلقون الشهادة في الصفوف ، أو الذين أذيع أنهم لقوها في أتون الأسر الإنجليزى ، حيث يجب لهم أمان الأسرى من المحاربين ، كان للسماء وحى يوحى .



الباب الثاني

١٤ من يناير



تعال النهار في تخوم أهرام الجيزة يوم ١٣ من يناير حيث غادر
« أحمد عصمت » بسيارته رهطاً من أصدقائه ساعتين كاملتين دون أن ينبههم
بأسباب غيابه أو مكان احتجابه ، ثم رجع إليهم والشمس لم تختمر بعد
بجوارها ، فكروا راجعين إلى القاهرة .

وكانت منطقة الأهرام مكاناً يتلقى فيه الفدائيون السلاح .

وقضى ساعات من الليل قبل أن يفيء إلى داره حتى إذا دخلها وآتوه
عشاء طعمه ، كما يطعم في العادة عشاءه ، في يسر وانسراح .

وحرر لأهله شيك بمبلغ خمسين جنيهاً مصرياً يتسلمونها من المصرف .
ولما طلب عامله مفتاح السيارة لإعدادها للسير غداً ، تبسم رافضاً
وحبس المفتاح في جيب قميصه ، وقصد مخدعه ، والمفتاح معه ، حتى إذا
غدا الغد ، ركبها شعشاً من غبار الصحراء . فلم يظهر على ما تحويه أحد .

وأصبح ككل صباح ، في حديث أهله وإطلاع صحفه واستمتاع
باللحظات الهنيئة التي يعيشها ، ثم غادر داره بعد إذ استقلت الشمس ، في

مبعاده ، لم تبدر منه لأهله ولا لولده وهم يبرحون دارهم إلى مدارسهم ،
بادرة تثنى بشيء عزمه - فالنطلق بسيارته راضياً مرضياً في إشراق أمه
ورجاء أهله ، إلى القاهرة ، حيث تسلم من مصروفه عشر جنيهات في
التاسعة صباحاً .

ثم قفل راجعاً إلى مطار المازة يتناول الشاي في أمانة واطمئنان أثرأ
عنه ، كما وصفه في الصحف زميل له شهده في مقصف المطار .
ثم يعم طريق عين شمس فالتحدر إلى قناة الاسماعيلية ، فيليبس ، فإني
حماد ، بعد أن خلف إلى صهره ، وإلى مصر معه ، بأجياها المتتابعة ،
وصية الجهاد والاستشهاد .

أخي حبيب

إني حنى لوطني هو الذي حبيب إلي سفلته لدماء
دماء العاقب المستمر البقية - ذهبت اليوم غير منتبه
إلى هيئة أو جماعة - ذهبت اليوم بياض الكهفي واربعة
قوى - ذهبت اليوم مروراً فربما ولأن ذاهب إلى رحلة
صيد مثل الرحلات التي كنا نقوم بها .
فأنا مت فاعلمه إلى كل مصر أني شاعر متزوج ولدي ثلاثة
أطفال ولدي أمي وأخواتي ومع هذا فقد ضحيت بنفسي
لنبيحتهم لهم أحراراً في بلادهم فالحرية لا تمنع ولكننا
لنؤخذ بأغز التلغيات .

فأني ألقاء في كلنا إلى التيه انه من أو عذت

أخي

هم

أُمِّي حَسْبِي

إن حى لوطى هو الذى حبب إلى سفك الدماء ... دماء القاصب المستعمر
البعيس ، فذهبت إليهم غير منتم إلى هيئة أو جماعة . ذهبت إليهم بدافع إغنى وطمع
قوى . ذهبت إليهم مسروراً فرحاً ، وكأني ذاهب إلى رحلة صيد مثل الرحلات التى
كنا نقوم بها .

فإن مت فأعلن إلى كل مصرى أنى شاب متزوج ، ولى ثلاثة أطفال ، ولى أمى
وأخواتى ، ومع هذا فقد ضحيت بنفسى ليعيشوا هم أحراراً فى بلدهم . والحرية لا تمنح
ولكنها تؤخذ بأعز التضحيات .

فالى اللقاء فى كلنا الحالتين إن مت أو عدت .

أُفِيكَ أَصْمَر

• • •

اقرأوا أيها الشباب هذه الكلمات فى كلكم أخ لأحمد عصمت ، وكلكن
له أخوات . وأذيعوا فى مهاب الرياح الأربع ، أن الحرية لا تمنح
ولكنها تؤخذ بأعز التضحيات . . وعندما يقدم الفتى منكم حياته لا يقدمها
باسم حزب ولا باسم جماعة .. ولكن باسم أمكم الكبرى ... مصر ...

وإن الأحزاب والجماعات من أحمد عصمت ومن أى شهيد عندما
يستشهد !

أين الأرضى من السماوى !

أجل أيها البطل : غير منتم لحزب أو إلى جماعة ، فقد كانت مصر وحدها
قبلتك ، حينما كنت ولدت وجهك نحوها ، دون سواها .

ولا ضد حزب أو جماعة : فقد كنت كلك لمصر كلها ، وضد أعدائها
كلهم . . . وفى الظلال من أشجارك ، وجدران دارك ، شهداء على
استبشاعك أن يغتال المصرى أخاه المصرى ، سواء أكان من هؤلاء . أو
هؤلاء ، أو لا إلى هؤلاء . ولا إلى هؤلاء .

ولكن . إذا كانت لك زوج وأولاد وأم وأخوات . . فأين هم من مصر كلها ؟ ستهبها حياتك وأقل من ثلاثين عاما من العمر . وستهبك قلبها وأكثر من ثلاثين قرناً من الشكر ، أو الذكرى .

والحرية لا تمنح لأنها الوجود الإنساني الحق ، وهو لا يمنح . وإنما يحيا الإنسان بالجدارة ويبقى بالافتقار وبالتضحيات . وفي موت الأحرار حياة الحرية .

وكلما حوربت الحرية اهتزت وربت ورواها دم الشهداء ، وخدمها الأعداء قبل الأصدقاء . وكانت صيحة الحرب عليها دعوة النصر لها .

والحرية لا تستجدي ولكنها تنتزع .

وإنما هي رحلة صيد تذهب اليها بجنان ثابت ، كأنما الصيد الذي تقر به عينك هو البذل الذي ستبذل به نفسك . وما كنت لتسفك دماء البشر . بل حبك لوطنك هو الذي حجب اليك سفك دماء المستعمر البغيض ، فذهبت اليه مسروراً فرحاً كما قلت ، وقد صدقت . لأنك قد صنعت .

لقد ضحيت بنفسك من أجلنا لنعيش في بلادنا أحراراً ، فأصبحت من صناع التاريخ . وآباء الوطن . وأصبح اسمك حرفاً من أحرف الهجاء في نهضة منتصف القرن . .

ما أعوامك الثلاثون إلا أعوامها الثلاثون بعد ثورة سنة ١٩١٩ .
فحياتك هي عناصر حياتها قد سويت رجلاً . وإذا كانت بقية حياتك خلوداً في الرفيق الأعلى ، فستخلد الانتصارات المتلاحقة هذه النهضة ، وستخلد مصر ، خلود النيل على صفحات الأرض الطيبة التي كرّمنا الله بها .
لقد تلقينا - جميعنا - وجودنا من يد مصر . ولم يعطها سائرنا شيئاً ، إلا أن يكون سياسة ، أو كلمات ، أو دعوات ، ووجدتنا مصر أحرص الناس على حياة .

أما أنت ، فكنت من أنت ، في مواقفك الأخرى . تعاملت متعالياً حتى مع أمك الكبرى ! ستعطيها قدر ما أخذت منها . . لنقف على قدم المساواة معها .

سننقل للتاريخ منك هذا الكتاب ، بمثل ما تلقاه الحفظة والنقلة والخطباء والشعراء والكتاب والطلاب ، عاماً بعد عام ، ليكون لنا ولحفدتنا آية على الشجاعة وابتداع اليراع . لم يؤلف مثلها سفير في نفس العام أو قبله بأعوام . ولا بلغ مبلغها من أفئدة الأمة كلام . بما فيها من الروعة والجلال . ومن المحبة وإنكار الذات . وبما فيها من الشعور والخيال ، ومن الواقع الذي ليس مثله واقع . وبما فيها من أم الكتاب في فلسفة الحرية والاستقلال . . بل بما فيها من الحياة عند تضحية الحياة .

هذان السماوي والإنساني معا ، لم يجتمعا في التاريخ في كتب كثيرة مثل كتابك .

وما التأليف ولا الرسائل بالطول أو بالعرض ، ولكن بالبلاغ النافع للجيل وما يعقبه من الأجيال .

ألا . . وما كان أنفعها آية تلك التي حفظها الشعب ، عن ظهر قلب ، منذ طلعت بها عليه صحف الصباح ، ورددها المذيع ، وتناقلتها قاعات الجامعات وساحات الجوامع .

وإذا كانت شجاعة الفكر هي الوليد المبكر لشجاعة النفس ، فقد اجتمعت في قلبك الشجاعتان ، كما اجتمعا من قبل في فئة قليلة وردوا حياض المسكاره ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من انتظر ليتم رسالته أو يموت دونها .

تلك كانت آخره الكلمات التي جرى بها قلم أحمد عصمت ولعلها كانت

آخر ما يتردد في وجدانه . فهي كمثل ما كان يجري دائما على لسانه (إن مصر لا تنال الاستقلال إلا على شواطئ القنال) هي الكلمات التي صخبته ، وبرحت به وعذبتة ، عندما طوت عجلات السيارة الثرى المصرى إلى حيث المعارك الدائرة في منطقة التل الكبير من أيام .

سار في طريق الاسماعيلية مستأنيا - فلم يكن يؤثر الاناء - ومشى كما لم يمش أحد من قبله ولا من بعده ، إذ كتب بيده عن نفسه ما كتب في اللوح المحفوظ على نفسه .

قصد بسيارته لا ليكر ويفر ، أو يلتمس النجاة ما استطاع . ولكن ليجابه الخصم فيبلغ غرضه . وبواجه الموت بذاته وإن كان لا يعود .

وبلغ شاطئ البحر الذى ألف أن تسير سيارته عليه في الأيام الخالية في أرض خالية من العدو ، فإذا المكان - لأول مرة - تغزوه قوات إنجليزية حاشدة ، عبرت إليه قنطرة عائمة ، مدتها منذ ساعات .

فلقد فعل الفدائيون الأفاعيل بهم في بكور الصباح ، حين كنوا عند الظاهرية بين حمادة والتل الكبير لدورية مكونة من اثني عشر جنديا وضابطا بملابس جنود المظلات . وما هم أن اطلعوا عليهم فأخذوهم أخذة رابية فقتلوهم كافة ، وغنموا سلاحهم وأوراقهم الشخصية التي كانت معهم وجهاز الاسلحة الذى كان يحمله الضابط . وأقبلت فرقة المصفحات لنجدتهم فألقى عليها الفدائيون القنابل اليدوية ، وعطلت بعض سياراتها . وتمكن الفدائيون من الفرار بعد أن أصيب واحد منهم أصر على حمل جهاز الاسلحة ، لكنه استطاع بالقنابل اليدوية أن يعطل السيارات المصفحة وينجو .

كانت القوات الإنجليزية تنقل قتلاها مذمومين مدحورين على القنطرة العائمة ، حين وصل أحمد عصمت ووراءه بضع سيارات منها سيارة نقل

ركاب كبيرة ملأى بالراكبين . فإذا بالسيارات المصرية تتوسط عسكر العدو أمام نقطة تفتيش استحدثها في ذات المكان .

مكث أحد عصمت في سيارته حتى قدم الجند فقدم لهم جواز قيادة الطائرة وجواز سفره المصري ، وكان يرتدى رداء الطيارين وعلى كتفيه جناحان ونصف جناح .

وكان يستصحب دائماً مسدسين واحداً في جيب ردايه وآخر كبيراً في سيارته ، ولم يعرف على التحقيق ما كان في صندوق السيارة الخلفي أو تحت كراسيها .



وطالب جندي بريطاني
تفتيشه ونش سيارته .

فرفض أن يفتشه ،
وأصر الجندي ، وأصر هو .

واستعصم واستعلى على
التسليم للجندي البريطاني
بحق التفتيش في أرض
الوطن .

أيقن الجندي أنه يلقى
مسيباً ، فوق مستواه

العسكري . بالأجنحة التي تعلوه . واغته الفصحى . ولهجته العالية . بل
كان فوق مستواه البريطاني ، والاستعماري ، بل فوق كل مستوى ،
بشخصيته التي بلغت ساعتئذ ذروتها ، وعنقوان عزتها وقوتها ، في لحظة
ميلاد البطل . . . فدعا الجندي القائد . فإذا هو قائد منطقة التل الكبير
بتنامها ، الذي أطلقت عليه الصحف قائد مذبحة التل الكبير ، قد أقدمته

ومعه ياوره ، تلك القدمة هزيمة الصباح ومصابيره التي كتبها عليه القدر .
فلما رمقه وقع في نفسه أنها لفظة من السماء ، فترجل من سيارته وتراجع
إلى الوراء ، خطوات معجلات ، وارتقى سيارة نقل الركاب فدخلها وقذف
حافضة نقوده وأشياءه قائلا لركابها « أعطوا ما في هذه الحافضة لشخص
مستحق » .

ثم شخص من فوره إلى القائد في لحظات ، وتبادلا كلاما قصيراً ،
سريعاً ، لم يسمعه الشهود وإنما شهدوا الانفعال من قائليه . لكن الذي
دار في الخيال كان معاني كثيرة ، يسير علينا أن نتصورها :
فياله من صيد ثمين ، ساقته السماء لصياد مكين .

يا لها من قرني لله أن يستشهد في عدو الله ، عدو الوطن .
يا له من لقاء لمصر المستميتة المستبسلة في أبي حماد ، يمثلها طيار شاب ،
بجيوش الغزاة . من البغاث المستنصرة ، ممثلة في قائد المنطقة الأعلى ، قائد
المذبحة .

يا له من ظفر مادي لرجل واقفي من أدوات الهندسة ، وحسيان
الحساب .. وبين قواعده قول « كارليل ، مؤرخ الأبطال :
« ليس واجبنا الأول هو التطلع إلى ما يتراءى لنا غامضاً من بعيد ..
ولكن واجبنا الأول هو صنع ما هو واضح بين أيدينا » .
بل من قواعده قوله هو ذاته « إن انجلترا لا تحفل إلا بالضربات
المباشرة » .

وها هو القائد كله بين يديه ، بنفسه وشخصه ! وهو رأس الجيش
يعدن الآلاف فيه وعشرات الآلاف . والضربة فيه « ضربة أستاذ »
تصيب إنجلترا في صميم قلبها .

واقعد آن للصفعات التي وجهتها مصر إلى وجه الاستعمار أو أن
تتويجها بضربة قاضية ، وحن له ، هو ، تتويج حياته الملأى بآيات
الشجاعة بتاج بكل سابق أفعاله وخصاله ، يسعى بنفسه إلى مفرقه لو سدد
الله يده .

إنها النور المصرية ، والأسود المصرية ، في ذلك المكان وفي ذلك
الزمان . ومصر لا يخذلها بمثلها - وما هو إلا مصر بشمائلها وفضائلها -
وما ، البريجادير ، إلا إنجلترا في عنفوان عدوان الاستعمار .

وإذا كان سيداً من سادات مصر وأرواحهم آلا ومالا ، وفضلا وبذلا ،
فلا سيادة عنده إلا للشجاعة ، وقد حان تقديم برهانها .

فليكن السيد الجدير بفضائل حياته ، العظيم في مجياه ورماته .
ليقم بعمله في سبيل الله لعله أن يحط الخطايا عن المخلفين الذين لم يجاهدوا
كما تحمل السيد المسيح خطايا البشر .

لم يعد الفتى المرجو في أهله أو جماعته ، بل أصبح أمل أمته - ولم
يعد المطلوب منه أن يتزعم رهطاً من الأخيار . بل أصبح المطلوب منه
أن يتزعم الشهداء الذين كان آخرهم ، فكأنما كتب عليه أن يكون كابرهم .
وها هي ذى الفرص جميعاً تلقى بنفسها بين يديه ، والفرص لا تمر مر
السحاب . ولكنها تمضي كومضات البرق ..

كان بطن في أذنه نشيد الأنشاد عنده ، إن مصر لا تنال الاستقلال
إلا على شواطئ القتال . تلاحق سمعه هتافات أمه الكبرى - مصر - هنا .
قريباً من هنا . وقريباً من أيامنا . قدم روحه باسمي بطل الجيش
المصري ، الأمير الالوي محمد عبيد ، ولواؤه الذين آثروا الغناء على أن
يصعدوا في الوادي في ١٣ من سبتمبر سنة ١٨٨٢ عند النل الكبير .
وقد حان لك أن ترفع ذكرى كمثل ما رفع ذكرى في نفس المكان وضد
نفس العدو ... ،

إنه يقف في جفن الردى والردى يقظان ، وما فى الموت شك
لواقف . . . ولكن ما الموت ؟ الموت هو الفناء ، وما أزر الحياة فيما
ليس فانياً ؛ وإن فى الأحياء لموتى هم ملايين الأضعاف للأحياء من الموتى ،
والتضحية الكبرى فى سبيل الوطن عمل واحد ، يراه الصنديد بطولة ،
ويراه الرعديد مغامرة . ويراه المؤمنون استشهاداً ، ويراه عباد الحياة
مجازفة . . .

والناس بين هاتين الهاتين كالناس بين قطبي الأرض ، على درجات
طول وعرض ، مختلفات من القرب والبعد ، بين منطق الإنسانية العالية ،
وبين منطق الذين يعيشون ليطلعوا . ويتكلموا .

وما عمر الحياة إلى جوار الذكرى ، إلا كعمر الإنسان إلى جوار
الإنسانية . وأين أسماء الذين تدحرجوا على كرة الأرض من عهد آدم
إلى اليوم ، من أسماء الأنبياء والشعراء والعلماء والهداة والأبطال

• • •

لم يكن البطل غريباً فى الميدان الذى فتح له ، ولا كان أقل من فرصته .
بل كان من مستواها . . . وعندما تصنع يد القدرة الصنيع النابه تقدر
الرجال بمقدار الفعال ، فيتواءمون ويتلاءمون ، وتغدو العظام
كفؤها العظام .

ترأت أمامه رؤى التاريخ الذى كان من حفاظه ورواته . فبدا له أن
مصر وانجلترا تتصاولان ، وتلاقت ظروف الزمان والمكان ، فى موقع
أعداه القدر . من بطولات أهله فى السودان وهى حاضرة فى ذهنه ،
وبطولات محمد عبده وهى حاضرة فى مكانه ، فاذا التاريخ المصرى
المجيد قد تلاقى فى بقعة خالدة ، فصار صفاً من ورائه ، حيث العدو صف
من أمام .

وإذا هو الذى يهد من الخطوط المصرية إلى هؤلاء الإنجليز الذين
برزوا له .

فليبارزهم مبارزات على وحمة وعبيدة بين الصفوف ، إذ يلتقى الجمعان فى
الزحوف ... وليصرخ فى مصر فى وجه العدو صرخات وعمر بن الخطاب ،
فى وجه أبي سفيان ، : لا سواء ، قتلانا فى الجنة ، وقتلاكم فى النار ، .

وليقذف فى وجه بريطانيا بكلمة مصر الأخيرة . فلن تسمعها من أحد
كما تسمعها من لسان بطل : لقد جربنا سياستنا معكم فكانت تنازعا
وقشلا . وجربنا سياستكم معنا فكانت قهراً وخديعة . فلم يبق لنا معكم
إلا سياسة واحدة هى : أن ترحلوا ، وإلا فإنها الحرب من كل طبقات
الشعب ، . فاما نحن فسنموت لنجيا . وأما أنتم فإلى عذاب غليظ .
سنحاربكم بما بقى فينا من دم لم تستصفه بعد وحوش الاستعمار . بأيدينا
فإن قطعت فبأشلائنا . وبالسلاح . فإن عجزنا فبالخصى وبالحجارة .
بأنقاض المعاهد التى تخربونها ، والمعابد التى تضربونها ، والقرى والدور .
وعلى الشواطىء والمزارع والرمال وفى كل مكان . وبكل شىء . فإما
رددنا إلى مصر كرامتها . وإما رددنا للسماء وديعتها . والله أعلى وأجل ، .
لا جرم إن ذلك ومثله كان حديث نفس البطل . ومن عجب أن

تجد العمل الجليل فى حياة الإنسانية عملاً عادياً فى حياة رجل ١١
فلقد صنع أحمد عصمت فى هذا المقام العظيم العالى ما يصنعه فى المقام
البسيط العادى . .

فلو قد سئل من قبل فى غرفات داره عما يصنع غيره فى مثل موقفه
لأجاب ، فى اتزان ، وهندوء جنان ، كالجواب عن مسألة من مسائل الحساب ،
بأن يصنع ما سوف يصنع . . . وهو فى التنفيذ أبرع وأروع . تسعفه
الدقة الهندسية والاتزان العاطفى والاقتدار العملى ، على صنع الصنيع
النموذجى للواجب ، مع الإتقان ، والاطمئنان ، ونسيان ذاته .

وكان رامياً لا يشوى

فتواقع الفريقان ، وواتاه المأسوس الذى يحمله فى توفيق وتسديد .
فبدر البريجادير برصاصتين فى قلبه فخرمضرجا بدمه ، وثنى باثنتين فى قلب
ياوره الضابط فصرعه كمثلته ، وأطلق فى نفس الوقت اثنتين آخرين على
الجندي البريطانى . فتدهده الثلاثة صرعى يخورون . . لم تخطى رصاصة
واحدة مستقرها ومستودعها .



الحدث الذى استشهد فيه البطل أحمد مصمت كما سجله رسالته - الإسكندرية - والى اليمن صورة الشهيد



أحمد مصمت .. الشهيد المثل

ولم يكد الثلاثة يقعون لوجوههم ، ويخلدون إلى الأرض حتى أحس
البطل المصرى أنه قد أدى رسالته وناجى ربه كما ناجاه موسى عليه السلام
« وعجلت إليك رب اترضى ،
وانتهزت روح مصر فى القل الكبير .

ولو استأخر أجل البطل بعد ذلك لحظة من الزمان لعاش
في غير مكانه ، وبعد أوانه ، ولما كان في طليعة الرعيل الأول المشتاق إلى
الجنة ، ولعاش كما يعيش الرجال العاديون ملايين وملايين ، ينتظر الموت
على الفراش الوثير في المضاجع .

أجل . وصدق رسول الله ﷺ لن يعمل شيء قبل حله أو يؤخر شيء عن
حله . . ولكل أجل كتاب .

والذي يبقى بعد أيامه كالذي يحى قبل أيامه ، كلاهما يفقد عنصر
الزمن من حسابه ، فيفقد قواه ومعناه ، كالصفر بحيث الأعداد كانت إلى
جواره ، أو الصفر قبل أن تكون إلى جواره أعداد .

أبلس الجند الشاكي السلاح ، وبهتوا ، فخاصوا حيصة الوحوش ، ولم
يحسر واحد ولا جماعة منهم على التقدم إليه حتى تصعد روحه إلى عليين .

وتفتحت أبواب الجنة للشهيد . فطفت هتافات الترحاب به على أصوات
مدافع القوة البريطانية التي تفتحت ! فصعد بروحه الطاهر إلى الرفيق
الأعلى إلى جواره الطيار في الجنة ، (١) أول وآخر من لقبه الرسول ﷺ ذا
الجناحين ، : جعفر بن أبي طالب ، (٢)

ومات أحمد عصمت وسلاحه في يده ...

وايست الهزيمة أن يموت ، وإنما كانت الهزيمة أن يستسلم .

وفتش البريطانيون الشجعان ملابسه ونبشوا أسبافته كما أرادوا . ولكن
بعد أن خلفها لهم ، ولوا مولولين بقتيلين وجريح هو البريجادير ، نقل
إلى المستشفى العسكري وأعلنت وفاته بعد أيام .

(١) من خطاب الإمام علي بن أبي طالب إلى معاوية بن أبي سفيان .

(٢) (كان الذي رأيتم أحزنتي قتل أصحابي حتى رأيتمهم في الجنة إخوانا على سرر
متقابلين ورأيتم في بعضهم إعراسا كأنما كره السيف ورأيتم جعفرا ملكا ذا جناحين
مضرجا بالدماء مصبوغ القوادم) حديث شريف

وحمل ١٤ من يثاير اسم ، أحمد عصمت ،
ومن أولى بأيام التاريخ من ، أحمد عصمت ،
« أعلمتم قبل موسى من يد فذفت في وجه فرعون عصاها ،
« وطئت نأديه صارخة شاه وجه الرق يا قوم وشاها ،
« ظفرت بالكبر من مستكبر ظافر الأيام منصور لواها ،
« القننا الصم نشاوى حوله وزماح الهند لم تصح ظباها ، (١)

° ° °

وتعلم العالم كثيراً على أحمد عصمت ، وتعلم الإنجليز :
تعلم الإنجليز ، والعالم معهم ، أن المدافع التي فتحت أفواهاها على
البطل المصري لم تكن علامة القوة بل كانت آية الانخزال ، فلو كان فيهم
رجل واحد شجاع لتقدموا إليه بعد أن فرغ رصاص مسدسه ليأسروه .
وتعلم الإنجليز ، والعالم معهم ، في ثرى أبي حماد ، أن المصري إذا لقي
الإنجليزي بل القائد الإنجليزي ، وجهها لوجه ، ورجلا لرجل ، بل لرجال ،
كانت الدولة لنا وكانت الدبرة عليهم .

وتجملت لهم آية المستقبل في علاقاتنا معهم : أن هذا الشعب — عندما
يدعو الداعى — معثورهم بكل خافية من السلاح وبادية ، وأن بنيه قد
أعدوا للأمر عدته تتبارى فيها كل الجماعات ، وأن الآباء كالأبناء ، وأن
الموظفين كالطلاب كالعمال كالزراع كالمصريين قاطبة ، قد أجمعوا المسير
إليهم ، وأن أيام السلم ، إن كانت حسوما نحسات عليهم ، فستكون أيام
الحرب من نار جهنم . وأنهم يستطيعون أن يصنعوا كل شئ . بالرماح
— كما قال تاليران — إلا أن يستقروا فوق شباها .

وتعلموا حيث يجب أن يتعلموا ، في ميدان المعركة الذي بلغوه دون
طمان حقيقى بعد أن ردهم الجيش المصرى مقبوحين فى هزائم تترى غرب
الدلتا : أن ميدان المعركة الأخيرة لهم قد أضحى هنا .

لكن القادمين اليه فى هذه المرة هم المصريون ، مستشهدين ، مقبلين
من ديارهم ، لا الإنجليز مستعمرين ، مستسخرين ، من بعيد... ولن يكون
معهم الخديو نفسه فى قصر « رأس التين » . ولن يكون للخديو مندوب مع
جيشهم الغازى فى صحراء القنال ١١ . . . ولن تبقى « خيالة سان جورج » أو
الذهب الإنجليزى ، ظهراً لهم فى ارض الوطن .

وتعلمت مصر : أن . الحرية لا تمنح ولكنها تؤخذ بأعز التضحيات ،



السدس المصرى الذى لن يكف عن الانطلاق

لم تنعلها كلاما — فقد أنخمت كلاما — ولكنها لمستها بيدها أعمالا ،
ورجالا ، من لحم ودم ، ورصاصاً يتكلم .

تعلمت مصر : أن التضحية في سبيلها لا تنجى من جيل دون جيل ، أو
طبقة دون طبقة . وأن على كل فرد من بينها ، قسطه الحق من الوفاء لها
والبذل في سبيلها ، وأنها إذا عزمت أمرها وأجمعت رأيها تفتحت لها
الأبواب إلى الانتصار .

وتعلم من لم يكن يعلم : أن قد أنزل الذين بطروا من أهل اليسار من
صياصيمهم ، وهم جامون رواء ، إلى صفوف الشعب . وقيل لهم : إن
الذى له في الوطن أكثر ، عليه للوطن أكثر ، وإلا فإنها الهاوية .

وتعلمت مصر : أن إنجلترا لا تهتز قدر ما تهتز للضربات المباشرة .
ويوم يستيقن الإنجليز صدق جهادها سيخرون إلى الأذقان سجداً .

• • •

بلى ... ضرب أحمد عصمت نفسه مثلاً خالداً . فسجل بالظهور من
دمه دستور المبادئ التي اعتنقها وطالما دعا لها ، مبداً مبداً ، فيا لها من
مبادئ صادقة ، وباله من رجل صادق في المحيا ، صادق في الممات .
والناس لن يصدقوا داعية بمقاله . وإنما يصدقون الذين يصنعون .

• • •

لم ينشب الإنجليز أن انقشعوا عن المكان ، وحملت عربية الإسعاف
جثمان البطل وكأنها تحمل إلى مصر كلها أعلى قيمها المعنوية مجسدة في رفاته
الغالي .

وعادت سيارة نقل الركاب وما وراءها من سيارات إلى الزقازيق
يروى راكبوها في التحقيق ، وللشعب ، وللصحف ، أحاديث البطولة التي
سعدت حياتهم بها ، وطير الراديو المصري أنباءها ، فاهتزت بها وبأصدائها

أسلاك البرق وموجات الإذاعات في الخافقين ، مئتي وثلاث ورباع وخماس ، أياما وليالى .

وعرف الفدائيون ممن كانوا في ذلك المكان إذ شهدوا صورته في حافظته التي خلفها ، أنه الطيار الذي مكث يختلف إليهم زمانا ، فتنادوا للفداء وتعاهدوا على الثأر .

قال البعض إن أحمد عصمت قد هاجته عبارات البريجادير إذ كان يصصر على نبش سيارته وإن لسان البريجادير قد اشتد عليه وعلى وطنه . بل قيل إن يده قد امتدت إلى وجهه ، فأبى البطل المصرى أن يفرض عليه الغاصب قانونه — ففرض عليه قانون الرجولة والشجاعة والوطنية المصرية ، ليجعل منه ومنها حديث الدنيا ... وقد فعل . كما يفعل البطل . وقال آخرون إنه قد هاجه تفتيش الإنجليز للنساء ، وهن يغضضن من أبصارهن ، وهم يصنعون بهن ما تمنعهم الإنسانية الدنيا أن يصنعوه ، مثلما مثلوا بالموتى وما صنعوا بالأسرى

وقيل إن القائمين على خطط الفدائيين كانوا يعلمون بوجود البريجادير في ذلك المكان فأعدوا له ما استطاعوا من قوة ، كمثل ما أعدوا من قبل للبريجادير ، إكسهايم ، في منطقة الاسماعيلية ، وكاف أحمد عصمت تنفيذ الخطة ، فصنع في أبي حماد ما عجز عنه غيره في ظاهر الاسماعيلية . ولعل في خطابه ما يشير إلى أنه قد ذهب إلى هنالك وفقا لخطة موضوعة ، وضعها وحده أو مع غيره .

وقيل إنه كان في طريقه الى التل الكبير ليوزع السلاح الذي كان يحمله ، ورجالا ستة كانوا في سيارة نقل الركاب في جلايب بيض ، رجعوا بعد استشهادهم الى الزقازيق . ولقد وفد على داره في الغداة وفود من الفدائيين بالشرقية ، فروى بعضهم أخباره بتفصيل ، لكنهم

لم يعودوا إلى داره لتعاقب الأحداث التي تعاورت على الوطن بعد ٢٦ من يناير ، كما أفاض في ذكر أسفاره للتل الكبير وأبي حماد ، زعماء الفدائيين الذين وكلوا بتشجيع جثمانه في المستشفى بالقازيق .

ولو تمكن منه الإنجليز بعد تفتيش سيارته لغنموا ما فيها من السلاح ولاسروه ، فما أحسنوا إيساره ، وهو قد قرأ في صحف الصباح - ١٤ من يناير - أنهم أعدوا سبعة من أسرى معركة التل الكبير رميا بالرصاص . سلم ركاب سيارة النقل حافظة نقوده للمحققين وفيها ثمانية جنهات وستون قرشا بقيت لديه من عشرة الجنهات التي تسلمها في الصباح من المصرف .

وحمل الى المستشفى الأميرى فى الزقازيق . وكانت بطاح الشرقية جميعها ترى الشهداء بتشجيع الجنازات ، وتلاوة القرآن فى السراقات ، وأبت الزقازيق إلا أن تحتفل به فى المستشفى الأميرى عندما وصل ، وعندما فصل ، بهتاف الفدائيين : « الله أكبر الله أكبر » ، والنصر لمصر ، . وبتريد ذكرياته ، وأحاديث زياراته .

ومر جثمانه ببليس فكانت فى جوف الليل تؤبى شهداءها حتى بلغ القاهرة بعد منتصف الليل .

فلما كانت الغداة خرجت مصر ، بل برزت مصر ، فى تشييعه ، تحرض على القتال ، وكان جثمانه ملفوفا فى أعلامها ، قد أصبح وأضحى ، علم قيادتها .

